سيميائية الرمزية وتعدد الأصوات السردية في أدب المقاومة: استكشاف الهوية والاغتراب في رو ايتي «وارث الشواهد» و «البحث عن وليد مسعود»

Semiotics of symbolism and multiple narrative voices in resistance literature: exploring identity and alienation in the novels *heir of the witnesses* and *searching for Walid Masoud*

د. فتيحة بن الطيب
قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عمار ثليجي- الأغواط، الجزائر
f.bentayeb.ar@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2025-02-04 - **تاريخ القبول:** 2025-05-22 - **تاريخ النشر:**2025-05-31

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل سيميائية الرمزية وتعدد الأصوات السردية في الرواية الفلسطينية كجزء من أدب المقاومة، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على روايتي «وارث الشواهد» لوليد الشرفا و«البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا. يركز البحث على كيفية توظيف الرموز في الشخصيات والأحداث، مثل "الشاهد" الذي يمثل الذاكرة الجماعية و"المنزل" الذي يرمز إلى الهوية والانتماء، وكيف تساهم هذه الرموز في التعبير عن معاناة الفلسطينيين تحت الاحتلال. كما يسلط البحث الضوء على أهمية تعدد الأصوات السردية في تقديم رؤى متعددة الأبعاد حول الهوية الفلسطينية والاغتراب الفردي والجمعي، بالإضافة إلى تسليط الضوء على التوترات الاجتماعية والسياسية في القضية الفلسطينية. من خلال تحليل الروايتين، يسعى البحث إلى فهم كيف تساهم الرمزية وتعدد الأصوات السردية في تشكيل معنى المقاومة وتأثيرها على القارئ، وكيف تعكس الرواية الفلسطينية واقع الصراع والصمود في محاولات الطمس والنسيان.

الكلمات الدالة: أدب المقاومة؛ البناء السردي؛ الهوية والاغتراب؛ السيمائية الرمزية؛ الرواية الفلسطينية.

Abstract

This research aims to analyse the semiotics of symbolism and multiple narrative voices in the Palestinian novel as part of the literature of resistance, through an applied study on the two novels *Heir of the Witnesses* by Walid Sharafa and *Searching for Walid Masoud* by Jabra Ibrahim Jabra. The research focuses on how symbols are employed in characters and events, such as the “witness”, which represents

collective memory, and the 'house', which symbolises identity and belonging, and how these symbols contribute to expressing the suffering of Palestinians under the occupation. The research also highlights the importance of multiple narrative voices in presenting multi-dimensional visions of Palestinian identity and individual and collective alienation, in addition to highlighting the social and political tensions in the Palestinian cause. By analysing the two novels, the research seeks to understand how symbolism and multiple narrative voices contribute to shaping the meaning of resistance and its impact on the reader, and how the Palestinian novel reflects the reality of struggle and steadfastness in the attempts to obliterate and forget.

Keywords: resistance literature; narrative structure; identity and alienation; symbolic semiotics; Palestinian novel.

مقدمة

يُعدّ أدبُ المقاومة من أبرز الأشكال الأدبية التي تتناول قضايا التحرر والنضال من أجل الهوية والكرامة، حيث يسعى هذا النوع الأدبي إلى تحويل الكلمة إلى أداة فاعلة، والنص إلى شهادة حية توثق الظلم وتبث الأمل. وفي هذا الإطار، تبرز رواية «وارث الشواهد» للكاتب الفلسطيني وليد الشرفا، ورواية «البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا، كأعمال أدبية مميزة تجمع بين عمق السرد وجمال الرمزية. تشكلُ هاتان الروايتان مرآةً عاكسة لواقع القضية الفلسطينية، بما تحمله من أبعاد إنسانية، تاريخية، وسياسية.

تُجسد الرواية الفلسطينية رحلةً سرديةً معقدة، تمزج بين الماضي والحاضر، وتغوص في أغوار الهوية الفلسطينية من خلال شخصياتها المتعددة وصراعاتها النفسية والوجودية. إنها ليست مجرد عمل أدبي بل شهادة على مأساة الاحتلال، ونداء لاستعادة الذاكرة الجمعية التي تُعاند النسيان. يوظف الشرفا أدوات السرد بحرفية، لينسج حبكةً تتشابك فيها القضايا الكبرى كالتاريخ والهوية والتهجير والمنفى، مع صراعات الفرد النفسية والاجتماعية، مما يُعطي الرواية بُعدًا إنسانيًا عالميًا يتجاوز حدود القضية الفلسطينية.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف رحلة السرد في رواية «وارث الشواهد» ورواية "البحث عن وليد مسعود "من منظور نقدي ورمزي، حيث يُسلّط الضوء على تقنيات السرد المستخدمة، ودلالات الرمز التي وظّفها الكاتب لتصوير معاناة الشعب الفلسطيني وأملهم في التحرر، كما يناقش البحث الأبعاد الفكرية والجمالية التي تُميّز هذا العمل، ودوره في إبراز أدب المقاومة كأداة فاعلة في التعبير عن قضايا الأمة، وتعتمد هذه الدراسة

على المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة الأدبية في أدب المقاومة وتحليلها من خلال النصوص المختارة، ويهدف هذا المنهج إلى الكشف عن تجليات الرمزية والبناء السردي عبر العناصر السردية والرمزية في النصوص، مع تحليل كيفية توظيفها لخدمة الفكرة النضالية. يتمُّ ذلك من خلال قراءة معمقة للنصوص، ثم وصف خصائصها الأسلوبية والسردية وتحليل دلالاتها وفق رؤية نقدية تبرز أثرها في تعزيز البنية الفنية والرسالة الفكرية لأدب المقاومة.

ومن هنا تطرح الدراسة التساؤل الرئيسي: كيف تتجلى الرمزية والبناء السردي في أدب المقاومة؟ وما أثرهما في تشكيل البنية الدلالية الجمالية؟ وانطلاقًا من هذه الإشكالية، يسعى البحث إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف ساهم تعدد الأصوات السردية في بناء حبكتها وتعميق أبعادها الفنية والموضوعية؟
- ما الرموز المستخدمة في النص، وكيف خدمت هذه الرمزية في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية وتفاصيلها التاريخية؟
- كيف تعكس الرواية الصراعات النفسية والاجتماعية للشخصيات الرئيسية كمرآة لصراع الشعب الفلسطيني مع الاحتلال؟
- ما العلاقة بين البناء السردي للرواية وتفكيك المفاهيم الكبرى مثل الهوية، الأرض، والاغتراب؟

1. مفهوم أدب المقاومة

يُعتبر أحد الأشكال الأدبية التي تُعبّر عن التحدي والصمود أمام الظلم، والاحتلال، والاستعمار، ويُركز على قضايا التحرر والكرامة والهوية. يُعتبر هذا النوع من الأدب وسيلة لتوثيق المأساة، وحفظ الذاكرة الجماعية، وتحفيز الشعوب على رفض القهر والاستبداد. ويُعد «عمل مشروع لتحرير الأرض والبلاد والسكان من الاحتلال وهي أيضا ما يمكن أن تقوم به الشعوب لتقرير المصير أو الاستقلال أو إزالة العدوان»(دحلة، 2005، صفحة 125)، يتجاوز أدب المقاومة كونه مجرد تعبير عن المعاناة، ليُصبح أداة للنضال الفكري، والثقافي، والسياسي، تُسهم في تعزيز الوعي الجماهيري بقضية معينة، وتُبقي جذوة الأمل مشتعلة في النفوس.

يتميّز هذا الأدب باستخدامه أساليب سردية وشعرية متنوعة، تتراوح بين المباشرة والرمزية، حيث يُظهر مظاهر الظلم والاضطهاد، لكنه لا يغفل عن إبراز قيم الصمود والمقاومة، يصوغها الأديب ببساطةٍ أعمق وأكثر قوةً على الإقناع (كنفاني، 2013). كما يستمد قوته من الواقع الذي يُعبر عنه، ويُركز على تقديم رؤية إنسانية تُبرز أثر الصراع على الفرد والمجتمع.

من أبرز موضوعات أدب المقاومة:

- مقاومة الاحتلال والاستعمار :كالتصدي للاحتلال العسكري والثقافي.
- الحفاظ على الهوية :من خلال التمسك بالثقافة والتراث والتاريخ.
- توثيق المأساة :عبر تصوير الأحداث التي تُظهر معاناة الشعوب المقهورة.
- بث الأمل: بتصوير الانتصار الممكن، وبث روح التفاؤل رغم الألم.

يشمل أدب المقاومة مختلف الأجناس الأدبية، من شعر، ورواية، وقصة قصيرة، ومسرحية، ويتميّز بمزج الواقعية مع الرمزية لخلق أعمال أدبية تحمل طابعًا إنسانيًا عالميًا. أمثلة بارزة على هذا الأدب تظهر في الأعمال الفلسطينية مثل روايات غسان كنفاني ووليد الشرفا، والشعر العربي المقاوم، كأشعار محمود درويش وسميح القاسم. وتحمل هذه الأعمال «قيما رمزية عالية لأبطال هذه القيم، ويعكس التجربة الثورية» (الأسطة، 2008، صفحة 09). بالتالي، يُعد أدب المقاومة شاهدًا فنيًا على نضال الشعوب، وأداة لمقاومة الظلم والاحتلال، ورسالةً للأجيال القادمة تحثهم على مواصلة الكفاح والتمسك بالحقوق.

2. البناء السردي للرواية

البناء السردي هو الهيكل الذي يُنظم النص الروائي، ويشمل العناصر التي تتشابك لتشكيل القصة، مثل الأحداث، الشخصيات، الزمان، المكان، الأسلوب، واللغة، وهو «الهيكل العام الذي يُشكل القصة ويُحدد طريقة عرض الأحداث والشخصيات والزمن، كما يُعنى بعلاقات الترابط بين هذه العناصر، ليعطي النص طابعًا ديناميكيًا يساهم في إيصال المعنى وإحداث التأثير المطلوب على القارئ»(تودروف، 1990، صفحة 24). يتجلى البناء السردي في رواية «وارث الشواهد» للكاتب وليد الشرفا، ورواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا، إذ يتميز البناء السردي في كلتا الروايتين بتعدد الأصوات

السردية، وتداخل الزمان والمكان، واستخدام تقنيات سردية حديثة تُبرز عمق التجربة الفلسطينية.

أولا: البناء السردي في رو اية «وارث الشواهد» لوليد الشرفا

1- تعدد الأصوات السردية في "وارث الشواهد "

يعتمد الروائيون في كثير من الأحيان على تقنية تعدد الأصوات الساردة ويعني هذا المصطلح " أن يتناوب الأبطال أنفسهم على رواية واحدًا بعد الأخر، ومن الطبيعي أن يختص كل واحد منهم بسرد قصته أو على الأقل قصة مخالفة من زاوية النظر بما يرويه الرواة الآخرون "(حميداني، 1993، صفحة 49).

وقد اعتمد وليد الشرفا في رسم صورة "الوحيد" على تقنية تعدد الأصوات، حين استعرض "الوحيد" حادثة استشهاد والده، دفنه المؤقت، ومن ثم نقله إلى المنزل العائلي. ومع تداخل الأزمنة بين الماضي والحاضر والمستقبل، قدّم الكاتب تقنية سردية مميزة، لكنها تأثرت بسبب عدم التوفيق بين "سين" الاستقبال التي تشير إلى الزمن القريب و"سوف" التي كانت أكثر ملاءمة لإبراز البُعد الزمني: «سيكون هذا القبر المجهول، وهذا الشهيد المجهول هو أبي، وسيعرف جدي بعد أسبوع من انتظار الأخبار والحكايات، أن كان يرتدي قميصا أبيض وبنطالا أزرق ...» (الشرفا، 2017، صفحة 17).

تتشابك الأحداث حين توافق أم "الوحيد" على سفره إلى أمريكا خوفًا من أن يلحق بمصير والده في الانتفاضة. هناك، يعيش مع خاله الذي سبق أن هاجر من حيفا عام 1965، ويتعلم الإنجليزية بسرعة، ويواصل دراسته العليا في التاريخ، مستعينًا بها لتفكيك الأساطير الصهيونية: «سأبدأ دراستي العليا، وسأغير مجرى بحثي نحو الأساطير القديمة» (الشرفا، 2017، صفحة 42). يلتقي "ريبكا"، الكاتبة المسرحية، ويتزوجها بعد قصة حب طويلة، لتنجب له "ليلى"، الفنانة التي كرّست موهبتها لرسم البيوت الثلاثة التي عاش فيها والدها في عين حوض، نابلس، وأمريكا. في أحد عروضها المسرحية، يلتقي "الوحيد" بصديقه "بشارة"، الطبيب المسيحي من الناصرة: «سأكتشف من تعليقاته ومن سلسة كان يعلقها في رقبته تدلى في منتصفها صليب بأنه مسيحي» (الشرفا، 2017، صفحة 45). يُصبح بشارة رفيقه في رحلة علاج جده سليمان الصالح إلى مستشفى في حيفا. بعد وفاة الجد ودفنه في المنزل الكبير للعائلة، يصطحب بشارة "الوحيد" إلى بار في "عين هود"، القرية

الفلسطينية التي حولها الاحتلال إلى مستوطنة للفنانين. هناك، يكتشف "الوحيد" شاهِد منزل جده، الذي كُتب عليه تاريخ التأسيس، مغمورًا بالأوساخ، فتثور ثائرته ويشتبك مع الشرطة الإسرائيلية، مما يؤدي إلى مقتل أحدهم. يُعتقل "الوحيد"، لكنه يستمر في الصراخ: "أريد الشاهد، ولا أريد قتل أحد." (الشرفا، 2017، صفحة 70).

تمثل الرواية تقسيمًا سرديًا إلى أربعة أقسام، حسب الشخصيات الساردة. القسم الأول يسيطر عليه "الوحيد"، حيث تتداخل الأزمنة بين أمريكا، فلسطين، ودولة الاحتلال. هذا التداخل السردي أنقذ الرواية من الوقوع في نمطية السرد التقليدي.

شخصية "بشارة"، الطبيب المسيحي الذي يحاول التعايش مع الإسرائيليين، تأخذ بُعدًا محوريًا. لكن الحقائق التي تتكشف له تدفعه إلى إعادة النظر في مواقفه، حيث يُقيم معرضًا للمثقفين الفلسطينيين في منزله خلال عيد ميلاد زوجته، مما يؤدي إلى فرض الإقامة الجبرية عليه وتحوله لاحقًا إلى سجين، رغم اقتراحه تخفيف الحكم عن "الوحيد" بادعاء اختلاله العقلي، إلا أن الأم ترفض هذا الحل حفاظًا على كرامة ابنها.

ريبكا، الراوية الثالثة، تُبرز رؤيتها الشخصية والعاطفية لزوجها من خلال ملف أرسلته إلى "بشارة" ليترجمه وينشره. بينما تتولى ليلى، الراوية الرابعة، تدوين وقائع المحاكمة، تنفيذًا لوصية والدها، حيث يخطط لتعريه القاضي وكشف ماضيه.

الثيمة أو القيمة المحورية تتجلى في مرافعة "بشارة"، حيث يُلخص الصراع بين الهوية والاحتلال بقوله: «إذا سُحبت جنسيتي الإسرائيلية، سأعود فلسطينيًا نقيًا» (الشرفا، 2017، صفحة 33).

الرواية تُسرد من خلال أربعة أصوات رئيسة:

- **الوحيد:** البطل الذي يحكي عن معاناته الشخصية وعلاقته بالتاريخ والذاكرة.
- **بشارة:** صديق الوحيد الذي يروي تجربته وتأثير النكبة والاحتلال عليه.
- **ريبيكا** :زوجة الوحيد، تُقدّم منظورًا آخر يدمج بين الحب وقضايا الوطن.
- **جولينا:** ابنة بشارة، التي تُسدل الستار على الأحداث، لتكون الشاهدة الأخيرة.

تعدد الأصوات يُضفي عمقًا على السرد ويُبرز تعددية وجهات النظر حول القضية الفلسطينية.

2- بنية الزمن في الرواية

الزمن في رواية " وارث الشواهد" للكاتب الفلسطيني وليد الشرفا يُعد عنصرًا محوريًا يعكس تعقيد الصراع الفلسطيني عبر تداخل الأزمنة والأحداث. يُستخدم الزمن في الرواية كأداة للتعبير عن تشظّي الهوية الفلسطينية وتداخل الماضي بالحاضر، مما يعكس الصراع المستمر بين ذكريات النكبة وآثارها، وبين الحاضر المثقل بالاحتلال والمقاومة.

1.2 خصائص الزمن في الرواية

- **تداخل الماضي والحاضر:** يظهر الزمن في «وارث الشواهد» متداخلاً بين الماضي والحاضر، حيث تعود الشخصيات باستمرار إلى ذكريات النكبة والاحتلال، مما يُبرز تأثير هذه الأحداث على حاضر الفلسطيني: «قبل لفي جدي بالكفن سألبسه الجاكيت والكوفية والحذاء وبعد أن يوضع في سيارة الإسعاف لنقله الى نابلس سيتبعني بشارة بسيارته في الطريق وسيطلب من سائق الإسعاف العودة» (الشرفا، 2017، صفحة 61). الأحداث الزمنية ليست خطية، بل متقطعة ومتداخلة، وهو ما يعكس حالة التشظي النفسي والاجتماعي التي يعيشها الفلسطينيون.

- **الزمن التاريخي:** تغطي الرواية أزمنة تاريخية متعددة، تبدأ من فترة النكبة وتهجير الفلسطينيين، مرورًا بالنكسة، وصولًا إلى الحاضر، وهذا ما نلمسه من خلال وصف الوحيد لبلدته: «سأنظر إلى السور الرمادي والأسود سأرى ظهور آلاف الصبية والشيوخ التي استندت إليه أيام العيد، أحدق في فندق قديم، يخبرني بشارة انه أقيم عام 1948» (الشرفا، 2017، صفحة 66). تُبرز الأحداث كيف يستمر الزمن في الحاضر الفلسطيني وكأنه امتداد للماضي، حيث تُعاد إنتاج المأساة جيلًا بعد جيل.

- **الزمن النفسي:** الزمن النفسي يُظهر تأثير الماضي على الشخصيات بشكل عميق. يعيش البطل الوحيد بين ذكرياته القديمة ومعاناته في الحاضر، مما يجعل الماضي حاضرًا دائمًا في وعي الشخصيات الفاعلة في الرواية. وهذا ما أكده بشارة وهو يصف مشفى حيفا بكلمات تفوح منها رائحة التحسر والألم: «في ممر في مشفى حيفا الذي يخترق الشاطئ نحو السماء فيبدوا تحته المتوسط كجسد ملتو، هذا المشفى الذي أصبح معلما من معالم حيفا (الإسرائيلية الجديدة) يرتفع نحو خمسة وعشرين طابقا، مليئة

بقصص الموت والمرض والشفاء لمواطنين فلسطين ويهود» (الشرفا، 2017، صفحة 81). يتمحور الزمن النفسي حول فقدان الأمل أحيانًا، وحول استمرارية الصمود والأمل رغم الألم.

- **الزمن الرمزي:** يحمل الزمن في الرواية رمزية الصراع الفلسطيني: فكل لحظة زمنية، سواء في الماضي أو الحاضر، تُظهر كيف يرتبط الإنسان الفلسطيني بأرضه، وكيف يكون الزمن شاهدًا على معاناته وصموده، وفي نظراته إلى الحجارة والأبنية القديمة وفي كل ركن من وطنه الذي أصبح ساكنا في وجدانه: « أتفحص كل هذا وأنظر جهة اليمين يرتجف قلبي و تتسارع أنفاسي : السور القديم قبل إعلان استقلال إسرائيلي أو حجارة البنية الكالحة ، أشم الآن مرة أخرى وللمرة الأولى منذ عشرات السنين ، رائحة الموت على جسد سليمان الصالح ...» (الشرفا، 2017، صفحة 86).

- **الزمن الدائري:** يتميز الزمن في الرواية بالدائرية، حيث يبدو أن الماضي يعيد إنتاج نفسه في الحاضر. هذا البناء الزمني يعكس فكرة استمرارية الاحتلال ومعاناة الفلسطينيين رغم مرور الزمن. يُظهر الزمن الدائري أن الفلسطينيين يعيشون في دورة زمنية من التهجير والقمع، لكنهم في الوقت نفسه يتمسكون بأمل العودة.

2.2 دلالة الزمن في الرواية

يرمز الزمن في «وارث الشواهد» إلى الشاهد الصامت على الجرائم التي ارتُكبت بحق الفلسطينيين، كما يُعبّر عن استمرار الحياة والمقاومة، حيث تتكرر الأحداث ولكن برؤية تحمل صمود الفلسطينيين وإرادتهم في الحفاظ على هويتهم. يعكس الزمن أيضًا ضياع الشخصيات وتشتتها، وهو ما يظهر في شخصية الوحيد الذي يعيش مأساة شخصية تعكس مأساة وطنه.

الزمن في رواية «وارث الشواهد» ليس مجرد إطار للأحداث، بل هو عنصر بنيوي يُظهر التوترات بين الماضي والحاضر، الفرد والجماعة، والمعاناة والأمل من خلال هذا التوظيف المتقن للزمن، يُبرز وليد الشرفا مأساة الفلسطينيين الممتدة عبر التاريخ، ويجعل من الرواية شهادة حية على استمرارية النضال الفلسطيني. فالرمزية التي استخدمها الشرفا تُظهر أن الهوية الوطنية التي هي ليست مجرد ثوب يُرتدى ويُخلع، بل جذور تضرب في عمق الذاكرة والوجود. وهذا ما تتناوله رواية «وارث الشواهد»، باعتبارها عملاً أدبياً يترفع عن الكتابة الاستهلاكية التي غزت الساحة بعد أوسلو. ففي

زمنٍ طغت فيه السرديات السطحية، تبرز هذه الرواية كصرخة صادقة، لا تقف عند حدود الشعار، بل تغوص في مأزق الهوية والانتماء.

يحمل السرد في طياته مأساة الفلسطيني المنفيّ، سواء بالهجرة الطوعية أو القسرية، حيث نجد في الرواية شخصيات تكافح لتحديد موقعها بين واقع الاحتلال القاسي وإغراءات التعايش معه. الطبيب، الذي يكاد ينسى هويته في زحام الاندماج، والوحيد، الذي رغم اغترابه، يحمل في داخله شواهد الوطن وكأنه لم يغادره قط .هذه التحولات ليست مجرد أحداث، بل زلازل داخلية تهزّ النفوس، وتكشف زيف التعايش المزعوم.

الرواية، بعمقها وصدقها، لا تكتفي برسم الألم، بل تؤكد أن الأرض تظل لأصحابها، وأن الاحتلال، مهما تجبّر، زائل لا محالة. الهوية هنا ليست مجرد إرث، بل عبء ومسؤولية، تُحمل كما تُورّث الشواهد. وبين التناقضات التي تفضحها الأحداث، واللحظات الحاسمة التي تفجر التحولات، يقف القارئ أمام حقيقة لا مفر منها: الهروب من الهوية محال، والانتماء قدر لا يُغيّبه الزمن.

3.2 الديمومة

- **التلخيص:** يستخدم الشرفا تقنية التلخيص لتسريع السرد وتغطية فترات زمنية طويلة في مسيرة البطل "الوحيد ."فمثلاً، يمر السرد بسرعة على مراحل دراسته في الخارج وعودته إلى نابلس بعد وفاة جده، مما يسمح بالتركيز على الأحداث المحورية دون الخوض في تفاصيل زائدة. فقد لخص الوحيد حياته، ويصف حاله الذي لم يتغير، وبقيت ذكريات شاهد القبر شاهدة عليه: «أكثر من أربعين عاما أعيش بين ذكرى قبرين» (الشرفا، 2017، صفحة 18).

- **الوقفة:** تظهر الوقفات الوصفية جليًا في الرواية، حيث يتوقف السرد لتقديم وصف دقيق للمكان والمشاعر. مثلاً، عند وصف قرية "عين حوض" قبل وبعد الاحتلال، يُبرز الكاتب التغيرات التي طرأت على المكان: «وأنا أسمع من جدي ليلة ميلاده في عين حوض في حيفا، كيف كان جدي وظهره وحصانه وعرقه، وحكايات عن عين حوض وعن تفاصيل الأدراج، الجدران الحجرية ومقبرة البلدة وجبل الكرمل وشارع الاستقلال» (الشرفا، 2017، صفحة 20)، فهنا قد سلط الضوء على التحولات الثقافية والاجتماعية، كما يُستخدم الوصف للكشف عن الحالة النفسية للشخصيات، مثل

شعور "الوحيد" بالاغتراب والضياع عند زيارته لمنزل جده المحتل «سأبكي قهرا وحسرة وسيؤلمني حلقي» (الشرفا، 2017، صفحة 26)

- **الحذف:** يلجأ الكاتب إلى الحذف لتجاوز فترات زمنية أو أحداث معينة، مما يدفع القارئ لملء الفراغات واستنتاج التفاصيل المفقودة . على سبيل المثال، بعد مقتل والد "الوحيد"، ينتقل السرد مباشرة إلى فترة دراسته في الخارج دون التطرق لتفاصيل تلك المرحلة، مما يترك المجال للقارئ لتخيّل تأثيرات الحادثة على تطور الشخصية.

- **المشهد:** تعتمد الرواية بشكل كبير على المشاهد الحوارية التي تعكس التفاعلات بين الشخصيات وتُبرز تناقضاتها. تُستخدم هذه المشاهد لتقديم النقاشات الفكرية والسياسية، مثل حوارات "الوحيد" مع صديقه "بشارة" حول الهوية والانتماء، مما يُعمّق فهم القارئ للقضايا المطروحة ويُضفي حيوية على السرد.

من خلال توظيف هذه التقنيات السردية -التلخيص، الوقفة، الحذف، والمشهد- يتمكن وليد الشرفا في «وارث الشواهد» من تقديم سرد متماسك يُبرز التعقيدات النفسية والاجتماعية لشخصياته، ويُسلّط الضوء على المأساة الفلسطينية بأسلوب يجمع بين التكثيف والتأمل.

3. الحبكة في رواية «وارث الشواهد»

الحبكة متشابكة وغير خطية، تتوزع عبر أربعة أقسام رئيسة، تبدأ بمقتل والد البطل وتتبعه في سجن الاحتلال، مرورًا بسرد بشارة لعلاقته بالوحيد، ثم رسالة ريبيكا، وأخيرًا رواية جولينا التي تنهي السرد بمحاكمة تُجسد الصراع المستمر.

1.3 الحبكة الرئيسية

تدور حبكة الرواية حول الوحيد (صالح سليمان الصالح)، وهو شاب فلسطيني يعيش في نابلس بعد تهجير عائلته من قرية عين حوض عام 1948 واستشهاد والده عام 1967. يُثقل كاهل الوحيد بعبء الذاكرة الفلسطينية وحكايات جده عن الماضي المفقود.

-**البداية:** نتعرف على الوحيد وعلاقته بجده الذي يروي له باستمرار حكايات عين حوض والماضي، نشاهد صراعه مع واقعه تحت الاحتلال وتأثره بفقدان والده.

-**التصاعد:** تتصاعد الأحداث مع تعرف الوحيد على ريبيكا، زوجته الأمريكية، التي تمثل عالمًا مختلفًا، كما نتعرف على الطبيب بشارة وعلاقته بالوحيد وعائلته، وتحوله التدريجي نحو وعي أكبر بواقع الاحتلال. يبلغ التصاعد ذروته مع قرار الطبيب بشارة إقامة معرض لصور المثقفين الفلسطينيين الشهداء، ومحاكمة الوحيد بتهمة قتل شرطي إسرائيلي في لحظة غضب، مرتبطة برؤيته لشاهد منزله في عين حوض وقد دُنّس.

-**الذروة:** تتمثل الذروة في محاكمة الوحيد والطبيب بشارة، حيث تتكشف دوافع أفعالهم وتبرز الصدامات بين الذاكرة الفلسطينية ورواية الاحتلال.

-**الهبوط:** نشهد تداعيات المحاكمة على الوحيد والطبيب بشارة، وتأثيرها على علاقاتهم وعلى المجتمع المحيط بهم.

-**النهاية:** تبقى النهاية مفتوحة إلى حد ما، مع بقاء الوحيد في السجن، لكنها تؤكد على استمرار الذاكرة والمقاومة الثقافية رغم القمع الإسرائيلي.

2.3 عناصر الحبكة الثانوية

-**قصة تهجير عائلة الوحيد من عين حوض:** تتخلل السرد حكايات الجد عن الحياة في "عين حوض" والتهجير القسري، مما يوضح جذور معاناة العائلة.

-**علاقة الوحيد بريبيكا:** تمثل هذه العلاقة صراعًا بين عالمين وثقافتين مختلفتين، وتُساهم في إبراز عزلة الوحيد الداخلية.

-**تحول الطبيب بشارة:** يمثل مسار الطبيب بشارة تحولًا في الوعي لدى بعض المثقفين العرب تجاه القضية الفلسطينية.

3.3 خصائص الحبكة

- **غير تقليدية:** لا تتبع الحبكة نمطًا خطيًا تقليديًا، بل تتداخل فيها الأزمنة والأصوات السردية المختلفة.

- **مرتبطة بالذاكرة:** تلعب الذاكرة دورًا محوريًا في تحريك الأحداث ودوافع الشخصيات.

- **سياسية وثقافية:** تتشابك الحبكة مع السياق السياسي والثقافي للقضية الفلسطينية.

- **رمزية:** تحمل العديد من الأحداث والشخصيات دلالات رمزية أعمق.

4.3 مستوى العلامات والدلالات في الحبكة

- **حكايات الجد:** ليست مجرد ذكريات، بل علامات دالة على الماضي والهوية والجذور. تكرارها يمثل إصرارًا على تداول الذاكرة.

- **فعل قتل الشرطي:** علامة رمزية قوية دالة على الغضب واليأس ورفض الاحتلال، حتى لو كان فعلًا فرديًا، يحمل دلالة أعمق تتجاوز الفعل الجنائي.

- **محاكمة الوحيد والطبيب بشارة:** تمثل صراعًا بين نظامين دلاليين: رواية الضحية (الفلسطيني) ورواية السلطة (الاحتلال).

- **وجود ريبيكا:** علامة على العالم الخارجي ومحاولة فهم القضية الفلسطينية من منظور مختلف، وقد تمثل جسرًا محتملًا للتواصل أو الفجوة بين عالمين.

4. الشخصيات

الشخصيات في الرواية ليست مجرد عناصر سردية، بل تُجسد رموزًا:

- **الوحيد:** يمثل الفلسطيني الذي يحمل عبء التاريخ والذاكرة.
- **بشارة :**يُجسد الصراع بين القومية والهوية والدين.
- **ريبيكا :**تعكس الالتقاء بين الشرق والغرب في ظل النضال.
- **جولينا :**الجيل الجديد الذي يشهد على التاريخ لكنه يحمل مسؤولية المستقبل.

ويمكننا فهم الشخصيات من خلال انتمائها إلى أنظمة سيمائية من خلال الجدول التالي:

الشخصية	الدال (الصفات الظاهرة)	المدلولات (الدلالات الرمزية)	العلاقات السيميائية
الوحيد صالح سليمان	الاسم "الوحيد «، أفعاله صراعه، قتله للشرطي، علاقته بالأخرين	-جيل ما بعد النكبة -وعي مثقل بالذاكرة -لغضب واليأس -البحث عن الهوية -الضحية والفاعل	الجد: علامة الماضي الأم: الحماية والقلق ريبيكا: الآخر / الغريب السجن: القمع والاحتلال
الجد سليمان	شكله، اسمه، حكاياته، سرده للماضي	-حارس الذاكرة -الرابط بالجذور	الوحيد: نقل الذاكرة الماضي: الحنين والأصل

		-مقاومة ثقافية -الحكمة والتجربة	الحاضر: الاغتراب
الأم	صمتها، خوفها، قلقها، دورها كأم الوحيد	-ضحية مزدوجة -الحماية والخوف -الكبت والصبر	الوحيد: الأمومة والقلق ذكرى الأب: الفقد الواقع: التكيف والصبر
الطبيب بشارة	طبيب، مسيحي، عربي، صاحب معرض فني	-المثقف الواعي -التضامن الإنساني -المقاومة السلمية -التحول في الوعي	الوحيد: التعاطف والفهم السلطات الإسرائيلية: الصراع بين الوعي والسلطة
ريبيكا	أمريكية، متعاطفة، تحاول الفهم، علاقتها بالوحيد	-الآخر / الغريب -جسر ثقافي -شاهد على معاناة -التحدي الثقافي	الوحيد: الاختلاف والتقارب الواقع الفلسطيني: محاولة الفهم

5. الأسلوب واللغة

الأسلوب في الرواية يجمع بين المباشرة والرمزية، حيث يستخدم الكاتب تعبيرات مشحونة بالعاطفة والدلالات العميقة لتصوير المأساة. كما تتخلل النص إشارات دينية وتاريخية تُعزّز أبعاده الفكرية، إضافة إلى أن الرواية تتميز بأسلوب سردي مكثف، يمزج بين الواقعية النقدية والرمزية العميقة، مما يضفي على النص بعدًا فلسفيًا يتجاوز مجرد الحكاية إلى استبطان التحولات النفسية والفكرية لشخصياته. يعتمد الكاتب وليد الشرفا على تقنية التداخل الزمني، حيث تتشابك الأزمنة في السرد، فتبدو الحكاية كأنها تدور في حلقة مستمرة من الذاكرة والاسترجاع، مما يعزز الإحساس بأن الماضي لا يزال حاضرًا في الوعي الفلسطيني. تقول الرواية على لسان الوحيد «ورواية المعجزة قد تؤدي إلى حالة إعجاز، فالوحيد فلسطيني دفع ثمن روايات الأرباب، وبها خلق معجزته، ربما يكون نبيا معجزا، يذكر نعمة الله عليه، فالأرض التي يكتب منها وفيها وعنها، (فلسطين)» (الشرفا، 2017، صفحة 09).

أما اللغة، فهي شاعرية في مواضع التأمل والحنين: «اقتربت نهاية الحكاية مني، الحكاية التي سمعتها طوال أكثر من أربعين عاما تقترب مني رقبتي، لتنهي الترنح والتنقل بين الحكايات، ولم يبقى أحد ممن شهد الحكاية الأولى إلا هذه المرأة الوحيدة أمي» (الشرفا،

2017، صفحة 15). من خلال هذا تظهر اللغة قاطعة حادة في لحظات المواجهة والصراع. تتسم بالثراء والتكثيف، حيث يحرص الكاتب على انتقاء كلماته بعناية، ليحمل كل تعبير دلالة تتجاوز معناه المباشر. كما يبرز التناص الثقافي والديني في النص، مما يمنحه عمقًا فكريًا يعزز من بعده الرمزي. هذا ما أكده الوحيد حين صحا من الكابوس الذي رآه :«سأحمل الهوية وأعود مع خالي إلى المنزل، فأنا سأعود الالتحاق بالجامعة للدراسات العليا، فقد ورطني التاريخ برعب الروايات منذ طرد آدم وطوفان نوح وبقرة موسى وعجل هارون، غادرت التاريخ بعد أن تيقنت أنه لا يوجد تاريخ» (الشرفا، 2017، صفحة 41). هذا الصراع في الرواية يعتمد على لغة بصرية تجسد المشاهد بإيقاع حسيّ قوي، مما يجعل القارئ يشعر وكأنه يعايش الأحداث، فيجد نفسه جزءًا من الصراع الوجودي الذي يعيشه أبطالها. إنّها لغة لا تكتفي بالسرد، بل تحفّز على التفكير والتأمل، وهو ما يجعل الرواية تجربة أدبية تتجاوز حدود الحكاية إلى ملامسة جوهر القضية الفلسطينية.

ثانيا. البناء السردي في رو اية" البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا

1- تعدد الأصوات الساردة

اعتمد جبرا إبراهيم جبرا في روايته «البحث عن وليد مسعود» على تقنية تعدد الأصوات، وهي تقنية سردية تتيح للكاتب تقديم الشخصيات والأحداث من زوايا متعددة، و«تستخدم في الروايات بحيث يُمنح كل صوت أو شخصية مساحة مستقلة للتعبير عن رؤيتها الخاصة ومواقفها المختلفة، دون أن يتم فرض وجهة نظر الراوي أو أي شخصية أخرى عليها. وتُتيح هذه التقنية عرض تعددية في الأفكار والرؤى، مما يجعل النص أكثر غنىً وتعقيدًا»(باختين، 1987، صفحة 86). يساهم هذا التنوع في تعميق فهم القارئ للشخصية المحورية ويكشف أبعادها النفسية والاجتماعية. يبرز وليد مسعود، الشخصية المركزية، من خلال روايات الشخصيات الأخرى، التي تشكل فسيفساء معقدة تجمع بين ماضيه، طفولته، شبابه، وما واجهه من أحلام وخيبات وآلام. يظهر وليد في ثلاثة فصول مختلفة، حيث يُعرض ماضيه من خلال تداخل ذكرياته مع شهادات أصدقائه ومعارفه.

تتألف الرواية من اثني عشر فصلًا، وكل فصل منها يعبر عن صوت مختلف من شخصيات الرواية، يحمل رؤى خاصة عن وليد ويكشف عن ملامح متباينة لشخصيته.

عناوين الفصول وأصوات السرد ليست عشوائية، بل تخضع لتنظيم يهدف إلى تقديم صورة متكاملة ومركبة عن وليد مسعود.

تقسيم الفصول والشخصيات الساردة:

- **د. جواد حسني**: يسرد ثلاثة فصول هي الأول، الثاني، والثاني عشر. في الفصل الأول، ينقل أثر اختفاء وليد مباشرة، مما يشكل مدخلًا للسرد. أما في الفصل الثاني، فيستعرض صراعات كاظم إسماعيل النفسية وكيف تتشابك حياته مع حياة وليد. في الفصل الأخير، يعيد السارد الختام إلى أصل الرواية، حيث تتداخل الوثائق والذكريات لإعادة تشكيل صورة وليد في ذهن القارئ.

- **وليد مسعود نفسه**: يسرد الفصول الرابع، السادس، والثامن، ليمنح القارئ نظرة مباشرة على أفكاره ومشاعره. يُظهر وليد هنا تناقضاته الداخلية وصراعه مع الماضي والحاضر، مما يجعل القارئ يتفاعل معه كشخصية إنسانية معقدة.

- **عيسى ناصر**: يروي الفصل الثالث، حيث يتناول وفاة والده، زواجه من نجمة، وإرساله وليد للدراسة في الخارج، مما يكشف عن الجوانب العائلية والاجتماعية من حياة وليد.

- **د. طارق رؤوف**: يسرد الفصل الخامس، مركزًا على السمات النفسية لوليد، حيث يربط بينها وبين صفات برج الجدي الذي ينتمي إليه وليد.

- **مريم الصفار**: تسرد الفصل السابع، حيث تنقل تفاصيل علاقتها العاطفية بوليد، مع تسليط الضوء على الانجذاب والانكسارات التي عاشتها بسببه.

- **وصال عبد الرؤوف**: تسرد الفصل التاسع، حيث تقدم بعدًا آخر عن حياة وليد من خلال رؤيتها الخاصة.

- **مروان وليد مسعود**: يسرد الفصل العاشر، ليكشف جانبًا من التأثيرات العائلية والوراثية على وليد.

- **إبراهيم الحاج نوفل**: يروي الفصل الحادي عشر، وهو فصل مهم يعمق فهم القارئ لصورة وليد من خلال تفاعل إبراهيم معه.

2. بنية الزمن في الرواية

1.2 الزمن

يمثل الزمن عنصرا أساسيا في بناء الرواية، «فمن خلاله نستطيع الكشف عن انفعالات الشخوص ومواقفها ومن ثم نتعرف على فاعلية الزمن في العمل الأدبي» (شعبان، 2004، صفحة 400). ومن هنا تتداخل الأحداث في الرواية الفلسطينية بين الماضي والحاضر، حيث يسترجع السرد مآسي النكبة والتهجير، مع عرض صراعات الأجيال الحالية مع الاحتلال. ففي ضوئه تترتب مادة الحكي، سواء اتخذت شكل التعاقب أو التداخل، «فهو يشكل بنية قائمة بذاتها ضمن العمل السردي ويميز السرديونبين زمن الحكاية أي التسلسل الزمني للأحداث كما وقعت وبين زمن الخطاب الذي يهتم بالطريقة التي يترتب بها السارد تلك الأحداث» (محمود، 2014، صفحة 119).

يمتاز النص الزمني في رواية " البحث عن وليد مسعود" بفصوله المعنونة التي كانت تعنون باسم السارد الذي يقوم بسرد الفصل، فكانت لها دلالات زمنية. فجاء الفصل الأول بعنوان " د. جواد يتسلم تركة صعبة "، يحمل دلالة زمنية في الفعل (يتسلم) فجاء بصيغة الحاضر. وقد استخدم السارد الانحراف الزمني في سرده، ولم يلتزم بالتدرج الزمني الصاعد، إلا ما جاء عفويًا، فراوحت الرواية بين زمن الاسترجاع والحاضر، وقد تحدد زمن الحاضر منذ الفصل الأول بسفر وليد مسعود والآراء والحكايات التي حُكيت عنه، وهي النقطة الأساسية في التأزم، ليعود السرد لاستحضار أحداث سابقة أو استذكارها. وقد ساعد انحراف الزمن بالمزج بين الأزمنة، مما أعطاها مجالا أفسح لا عطاء الرواية إيقاعات مختلفة من التوتر والخلخلة. يعود السارد إلى زمن الارتهان (الحاضر)، وقد استخدم تقنية المشهد والحوار ليتباطأ الزمن؛ ففي المشهد ينكشف العالم الداخلي للشخصيات، ويستخدم السارد تقنية المسجل لجعل الشخصية تحكي زمنها بنفسها.

أما الفصل الثاني، " د. جواد يبدأ البحث مستدلا بشيء من منظور كاظم إسماعيل وإبراهيم الحاج نوفل "، كما وجدنا دلالة الزمن في الفصل الأول نجدها هنا في الفعل (يبدأ) البحث ولكن العنوان هنا ليس دقيق الدلالة، فالبداية قد بدأت منذ الفصل

الأول، ومجريات أحداثه ابتداء من سماع الشريط الذي يخص وليد مسعود، والحيرة التي أصابت أصدقائه من ذلك.

يبدأ الفصل الثاني باسترجاع الذكريات عن حياة وليد مسعود، ويتم السرد بوجهتي نظر مختلفين، حيث تم السرد بحكايتين مختلفتين: في الأولى يدفع وليد صديقه كاظم خارج السيارة، ويتركه وحيدًا يواجه البرد والظلام؛ وفي الثانية، التي يدفعه خارج السيارة، ولكن يعود إليه ويعانقه لأنه أحس بالندم.

أما الفصل الثالث " عيسى ناصر يشهد موت مسعود فرحان بعد أن عاصر بعضا من حياته"، يظل المضارع الضابط الزمني للفصول، وهو دلالة الحاضر للماضي الذي يعرضه النص.

ينتمي الفصل إلى زمن الذاكرة، ولم يكن زمنًا مستمرًا أو متتابعًا. ويعود السارد في عدة استرجاعات بالتحدث عن والد وليد مسعود، إضافة إلى عدد من الاضاءات التي تحدث عنها في جوانب عدة من حياة وليد مسعود والظروف التاريخية التي كونت شخصيته. وتتواصل الفصول لنلتقي بالفصل الرابع " وليد مسعود يتذكر النساك في كهف بعيد " الصيغة المركزية للتبئير الزمني هي كلمة (يتذكر)، وفي هذا الفصل يبدأ بالهروب من الدير: «بعد غياب الشمس بقليل تسللنا من بوابة القسم واحدا واحدا كما يتسلل الهاربون من السجن» (جبرا، 1985، صفحة 113).

أما الفصل الخامس " دكتور طارق رؤوف يتأمل برج الجدي "، وتظهر هنا دلالة زمنية نفسية، وقد استعان بالزمن الفلكي ليؤدي دلالة خطابية متعلقة بهذا الزمن. فيستخدم السارد التحليل النفسي، فيدخل إلى أعماق الشخصية الداخلية، مما يؤدي إلى تباطؤ الزمني ويستخدم كذلك آلية الرسائل، حيث تنتج الشخصيات الأفعال والأحداث دون تدخل الراوي مباشرة، وتعبر هذه الرسائل عن لحظات زمنية خاصة.

يخرج السارد من استرجاعاته ليعود إلى زمن الحاضر، وفي خروجه من زمن الاسترجاع يحس بالراحة والطمأنينة: «يوم سمعت باختفاء وليد أحسست كأن عبا كبيرا قد أزيح عن صدري. ارتحت، ولتقل مريم ما تشاء، وليقل الآخرون ما شاؤوا» (جبرا، 1985، صفحة 113). يقدم السارد، في عرض سيرته الذاتية، التدرج الزمني التصاعدي من الطفولة إلى الشباب، وينحرف عن التلاعبات الزمانية.

وفي الفصل السابع، " مريم الصفار تتعلق بصخرة تسكن أعماقها "، تعود مريم الصفار بذكرياتها مع وليد مسعود إلى زمن قريب من زمن الحاضر فتتحدث عن لحظات قصتها مع عامر وأيامها التي عاشتها مع زوجها هشام وعلاقتها مع وليد و قد استخدمت تقنية الحوار والتخليص والوقفة، واستخدامها تقنية الاستباق لتعبر عن انتماء وليد مسعود إلى منظمة فدائية مما أدى إلى اعتقاله وتعذيبه «أيقنت من ذلك بعد اعتقاله و تعذيبه على أيدي الصهاينة في الخريف السنة التالية بعد احتلالهم الضفة الغربية » (جبرا، 1985، صفحة 235).

وفي الفصل الثامن، " وليد مسعود يخترق أمطارا تتجدد"، تتكرر صيغة المضارع، وهذا هو الفصل الثالث الذي يسرده وليد وينهي به سيرته، ويبدأ بزمن نفسي: «مطر ما أعذبه، ما أمره، أحبه، أخشاه، أترقبه وأتمنى استمراره وأتمنى انقطاعه» (جبرا، 1985، صفحة 249). ونلحظ هنا تكرار صيغ المضارع 25 مرة في صفحة واحدة – وينتهي الفصل بزمن نفسي أيضا «كلما سقطت الأمطار ذكرت هموم أمتي .....ذكرت تخبطاتها وأوجاعها وامتلأت خوفا وفجيعة» (جبرا، 1985، صفحة 249).

والفصل التاسع " وصال رؤوف تكشف أوراقها " في هذا الفصل تظهر الساردة وصال عبد الرؤوف زمن نفسي «المعجزات أنها تهبط عليك من السماء كصُرّة ملأى باللآي، يسقطها في حضنك طير كبير ...» (جبرا، 1985، صفحة 253). تتحدث وصال عن زمن الحاضر وما أصابها من ألم وحزن شديد عندما فقدت وليد مسعود، بعد استخدامها تقنية المونولوج: «كيف أستطيع قول الذي لا يقال؟ وها أنا أقوله: قتلوك وجندوك» (جبرا، 1985، صفحة 274). نلاحظ أيضًا هنا تباطؤ زمن السرد في جريانه، وذلك عند التقاء وصال عبد الرؤوف بابن وليد مسعود «مروان وليد مسعود"، وذلك باستخدامها تقنية الحوار لمعرفة شخصية مروان وحياته اليومية مع المقاومة.

الفصل العاشر " مروان وليد يقتحم ام العين مع رفاقه"، فيبتدأ هذا الفصل بامتزاج الزمن مع المكان: «رامات يوسف تكاد تكون على الحدود، وهي الأصل قرية عربية تدعى ام العين، احتلها (الإسرائيليون) عام 1949"» (جبرا، 1985، صفحة 298). يقوم السارد بسرد ما قام به مع رفقائه ليلة الاقتحام، ويعود هذا السرد إلى زمن سابق لزمن الحاضر، وقد استخدم مروان وليد الفعل المضارع ليعبر عن الموقف: «غير أنني أحس بالتعب، ويرهقني الانبطاح مرة والقفز مرة» (جبرا، 1985، صفحة 302).

الفصل الحادي عشر، " إبراهيم الحاج نوفل ينبش كوامن حتى الفجر "، في هذا الفصل صرّح الروائي بلفظة تظهر أهمية الزمن، وهي (الفجر)، وهو مرتبط بصيغة المضارع. ويظهر في الفصل تقطعا للسرد وتوقفه، وذلك حين وظف السارد حكاية "إسكندر وجلجامش"، كما يستخدم التلخيص من أجل المرور على فترات طويلة من حياة وليد مسعود.

وفي الفصل الأخير، "جواد حسني يعد بالمزيد "، يتكلم السارد د. جواد عن ذاته وذلك بزمن الحاضر، ويروي ما حصل له مع وصال عبد الرؤوف، وتقديم بكل ما بوسعها للبحث عن وليد، وينتهي زمن الحاضر عندما سافرت والتحقت بالمنظمة الفدائية.

2.2 الديمومة

- **التلخيص:** أبدع الروائي جبرا في توظيف تقنية التلخيص السردي ضمن فصول روايته «البحث عن وليد مسعود»، حيث مرّ الساردون عبر أزمنة ممتدة عند عرضهم لأحداث جوهرية تُبرز الأبعاد الخفية للشخصيات، لا سيما شخصية وليد مسعود. تظهر هذه التقنية بوضوح منذ الفصل الأول من خلال استرجاع زمن مضى، كما في عبارة: «في السنوات الأخيرة كنت أرقبه وأخشى عليه» (جبرا، 1985، صفحة 17). كما نلاحظ اختصارًا زمنيًا اضطراريًا ذا دلالة خطابية: «بقيت أياما لا أستطيع إلا التفكير فيه، عشرون سنة من الصداقة بيننا انتثر عقدها» (جبرا، 1985، صفحة 17)، وأيضًا عبر اختزال زمني له دلالة وجدانية: «بقيت أياما لا أستطيع إلا التفكير فيه، عشرون سنة من الصداقة بيننا انتثر عقدها». (جبرا، 1985، صفحة 17) تتواصل هذه التقنية في الفصل الثاني عند الحديث عن خلفيات الشخصيات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، لتسريع وتيرة السرد. أما في الفصل الثالث، فيتمثل التلخيص في سرد حياة والد وليد: "في سبع أو ثماني سنوات رزق مسعود خمسة أولاد كلهم ذكور" (جبرا، 1985، صفحة 101). كذلك في الفصل السادس يظهر تلخيص زمني فكري ضمن مقولة حول أثر المسيح وأتباعه: "في قرنين أو ثلاثة غَيَّرَ العالم". (جبرا، 1985، صفحة 187)

رغم أن هذه التقنية ليست بارزة في جميع الفصول، فإنها تتكثف في الفصل السابع، حيث تروي مريم الصفار مرور الزمن عليها دون أن تشعر به: "كنت في العشرين ثم صرت في الثلاثين وأخذت أرتعب من مقدمة الأربعين"، (جبرا، 1985، صفحة 208)، وتعبّر كذلك عن

حالتها النفسية من خلال تلخيص شعوري: "بعد أيام الخيبة... تتحقق النشوة في لحظات." (جبرا، 1985، صفحة 222)

وفي الفصل التاسع، تسرد وصال رؤوف نشاط وليد السياسي ضمن تلخيص زمني: "منذ ثورة العشرين حتى استوزاره عام 1957". وبشكل عام، لم تلعب هذه التقنية دورًا مركزيًا في الرواية، إذ اعتمد الساردون على استرجاع الماضي بطريقة تحافظ على الرابط الزمني بينه وبين الحاضر.

- **الوقفة:** لجأ جبرا إلى تقنية الوقفة، حيث يتوقف الزمن السردي مؤقتًا لصالح الوصف، خاصة لوصف الفضاء المكاني والنفسي. يظهر ذلك في وصف د. جواد حسني لمريم الصفار: "ساهرة لا تعرف الخطيئة... كوردة من ورود بغداد" (جبرا، 1985، صفحة 30)، وكذلك في وصف القدس على لسان وليد أثناء اعتقاله، حيث جمعت المدينة بين الجمال المقدّس والألم العميق: "البلدة تلبس المطر كما تلبس الثكلى ثياب الحداد" (جبرا، 1985، صفحة 243). تُبرز هذه الوقفات عمق الشخصيات وظروفها النفسية في مواجهة الواقع، كما أنها تخلق مساحة تأملية وسط السرد وتُثري الرؤية السردية للعوالم الداخلية والخارجية.

- **الحذف:** يعني حذف مرحلة زمنية من السرد دون الإشارة إليها مباشرة، وهو ما يسمح بتكثيف الأحداث وزيادة سرعة السرد. استخدمه جبرا في عدة مواضع مثل: "التقيت كاظم بنفسي بعد يوم أو يومين" (جبرا، 1985، صفحة 18)، أو "وبعد مرور خمس سنوات أو ست" (جبرا، 1985، صفحة 46). كما نلاحظ الحذف الضمني، حيث يُترك للقارئ استنتاج ما لم يُذكر، كما في الحديث عن سقوط اللد والهدنة، ما يفتح الباب أمام التأويلات والأسئلة حول ما جرى في تلك المرحلة. ساعد هذا الأسلوب في عرض حياة وليد بمراحلها المختلفة، وساهم في تكوين رؤية متعددة الأبعاد لشخصيته دون الإغراق في التفاصيل.

- **المشهد:** يُقصد به المقاطع الحوارية التي تحاكي زمن القصة بزمن السرد، وتأتي مشبعة بالأصوات والتفاعلات. نجد في الرواية عددًا كبيرًا من المشاهد الحوارية الطويلة مثل:

المشهد	الصفحة
1. مشهد زمني خاص على شكل تلخيص، وهو مشهد يلخص حياة وليد مسعود	ص 26
2. مشهد زمني، وهو قصة وليد مع كاظم وخلافهما حول كتاب وليد (الانسان والحضارة)	من صفحة 60حتى 66
3. مشهد زواج مريم من هشام	ص 206
4. مشهد لقاء مريم بغامر في بيت سوسن عبد الهادي	ص 210
5. مشهد اللقاء في بيت عامر في شملان	ص 223

اتكأت رواية «البحث عن وليد مسعود» على أربع حركات سردية رئيسية هي :**التلخيص، الوقفة، الحذف، والمشهد** .تفاوتت في حضورها، لكن كل واحدة منها أسهمت في رسم خريطة سردية غنية، سواء من خلال تسريع الزمن أو إيقافه، أو القفز عليه، أومعايشته في حوارات حيّة. كل هذا شكّل نسيجًا متكاملًا في إبراز الشخصية المحورية وليد مسعود، وساهم في تعميق البنية النفسية والفكرية للرواية.

وما نخلص إليه أنّ التداخلات الزمنية واتّباعها بأساليب السرد الحديثة، واستخدام التقنيات الجديدة، قد تناسبت مع حالة الضياع والتناقض التي هيمنت على شخصيات الرواية، وقد عبرت عن الحياة اليومية التي يعيشها ضمن ظروف سياسية مختلفة، ومتناقضة، كما أظهرت الرواية، وليس الخوض في الماضي أو التحليق في عالم الخيال فقط، بل عدّى ذلك إلى أبعد الحدود، فكان النص الروائي قادرًا على استيعاب جميع الأزمنة.

3. أبعاد الحبكة في الرواية

- **التداخل بين الأزمنة والأمكنة:** تتنقل الرواية بين الماضي والحاضر، حيث يتذكر الشخصيات المختلفة ماضيهم وعلاقتهم بوليد، بينما يواصلون البحث عن أثره في الحاضر. الأمكنة في الرواية تتنوع بين المدن الفلسطينية والأماكن المهجّرة والمنافي، مما يعكس التشتت الجغرافي الذي يعاني منه الفلسطينيون.

- **البحث عن وليد مسعود:** تمثل عملية البحث عن وليد مسعود في الرواية محور الحبكة، حيث يسعى أصدقاء وليد وأفراد من محيطه لاكتشاف مصيره. ويتم استعراض

تفاصيل حياته من خلال شهادات متعددة، مما يعكس تعدد وجهات النظر حوله. تُبنى الحبكة من خلال هذه الشهادات التي تكشف تدريجيًا عن شخصية وليد، وتُبرز تفاصيل من حياته، أفكاره، وأحلامه.

- **تنامي الصراع الداخلي والخارجي:** هناك صراع داخلي يتمثل في البحث عن الهوية والفهم الشخصي لوليد، حيث ترى كل شخصية وليد من زاوية مختلفة، مما يعكس التوترات النفسية والتاريخية التي يعاني منها الفلسطينيون في ظل الاحتلال. كما أن هناك صراعًا خارجيًا يتمثل في قمع الاحتلال وأثره على حياة وليد وعلى حياة أصدقائه.

4. الرمزية في الحبكة

الحبكة في الرواية تستخدم الرمزية لتمثيل الصراع الفلسطيني بشكل عام، يرمز "وليد مسعود" إلى المثقف الفلسطيني الذي يعيش في الشتات والاغتراب، ويواجه تحديات داخلية وخارجية، كما أن عملية البحث عن وليد تصبح رمزًا للبحث عن الهوية الفلسطينية المفقودة وسط تداخل الحروب والشتات.

الحبكة في" البحث عن وليد مسعود" تقوم على مزيج من البحث الشخصي والرمزي، من خلال تعدد الأصوات السردية وتداخل الأزمنة والأمكنة كما أظهرنا ذلك من خلال تعدد الأصوات. فالرواية تُقدم صورة معقدة للواقع الفلسطيني من خلال سرد الأحداث بشكل غير خطي، وتعكس التوترات النفسية والتاريخية التي تؤثر على حياة الشخصيات وعلى محاولات فهم ذاتهم والآخر.

خاتمة

وفي الأخير، يظهر من خلال تحليل روايتي «وارث الشواهد» لوليد الشرفا و «البحث عن وليد مسعود» لجبرا إبراهيم جبرا أن كلا العملين يشكّلان نموذجًا متفردًا في أدب المقاومة الفلسطينية، فقد استطاع الكاتبان توظيف الرمزية والبناء السردي بمهارة عالية لنقل تعقيدات القضية الفلسطينية، وإبراز الصراع بين الهوية والاغتراب، والذاكرة والنسيان.

تُقدّم الروايتان شخصيات تحمل هموم الفرد الفلسطيني وصراعه الداخلي والخارجي، حيث تعكس الرموز مثل "الشاهد" و"المفقود" في «وارث الشواهد» و"وليد مسعود" في

الرواية الثانية، عمق الجراح الوطنية والانكسارات الشخصية التي عاشها الشعب الفلسطيني على مدار أجيال.

أما البناء السردي، فكان أداة فعّالة في تعرية تلك التوترات من خلال تعدد الأصوات السردية، والتشابك الزمني، والمزج بين الواقعية والتأمل الفلسفي. هذه التقنيات السردية جعلت من الروايتين شهادة أدبية نابضة بالحياة تعكس واقع القضية الفلسطينية في مواجهة محاولات الطمس والتغييب.

إنّ هذه الدراسة تؤكد على أهمية الروايتين ليس فقط بوصفهما أدبًا مقاومًا، بل أيضًا كمساهمة رائدة في الأدب الإنساني العالمي، حيث تدعوان إلى التأمل في قضايا العدالة والكرامة والبحث عن الذات في عالم يزداد تعقيدًا. بذلك، يمكن القول إنّ أدب المقاومة يظل أداة فاعلة لتحفيز الوعي والإلهام، وحمل قضايا الشعوب نحو منصات التغيير والتحرر.

المراجع

1.إبراهيم جبرا جبرا، 1985. البحث عن وليد مسعود، مكتبة الشرق الأوسط، ط3، بغداد.

2.إبراهيم فتحي ،1986. معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط 1، تونس.

3.الأسطة عادل ،2008. أدب المقاومة، من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، مؤسسة فلسطين للثقافة، ط2، فلسطين.

4. باختين ميخائيل ،1987. خطاب الرواية: بحث في أسلوبية التشكيل الروائي تر: محمد برادة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.

5. تودوروف تيزفطان ،1990. سيمائية السرد، تر: سامي سويدان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.

6.دحلة هاني ،2005. التمييز بين المقاومة والإرهاب، من وجهة نظر قانونية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان.

7.الشرفا وليد ،2017. وارث الشواهد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، فلسطين.

8.شعبان هشام ،2004. السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكتب الأردن.

9.الكنفاني غسان، 2013. أدب المقاومة، منشورات الرمال، ط1، بيروت.

10. لحميداني حميد ،1993. بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.

11. محمد محمود حفيظة ،2014. تحليل الخطاب السردي في ألف ليلة وليلة، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد 17، العدد2، الأردن.